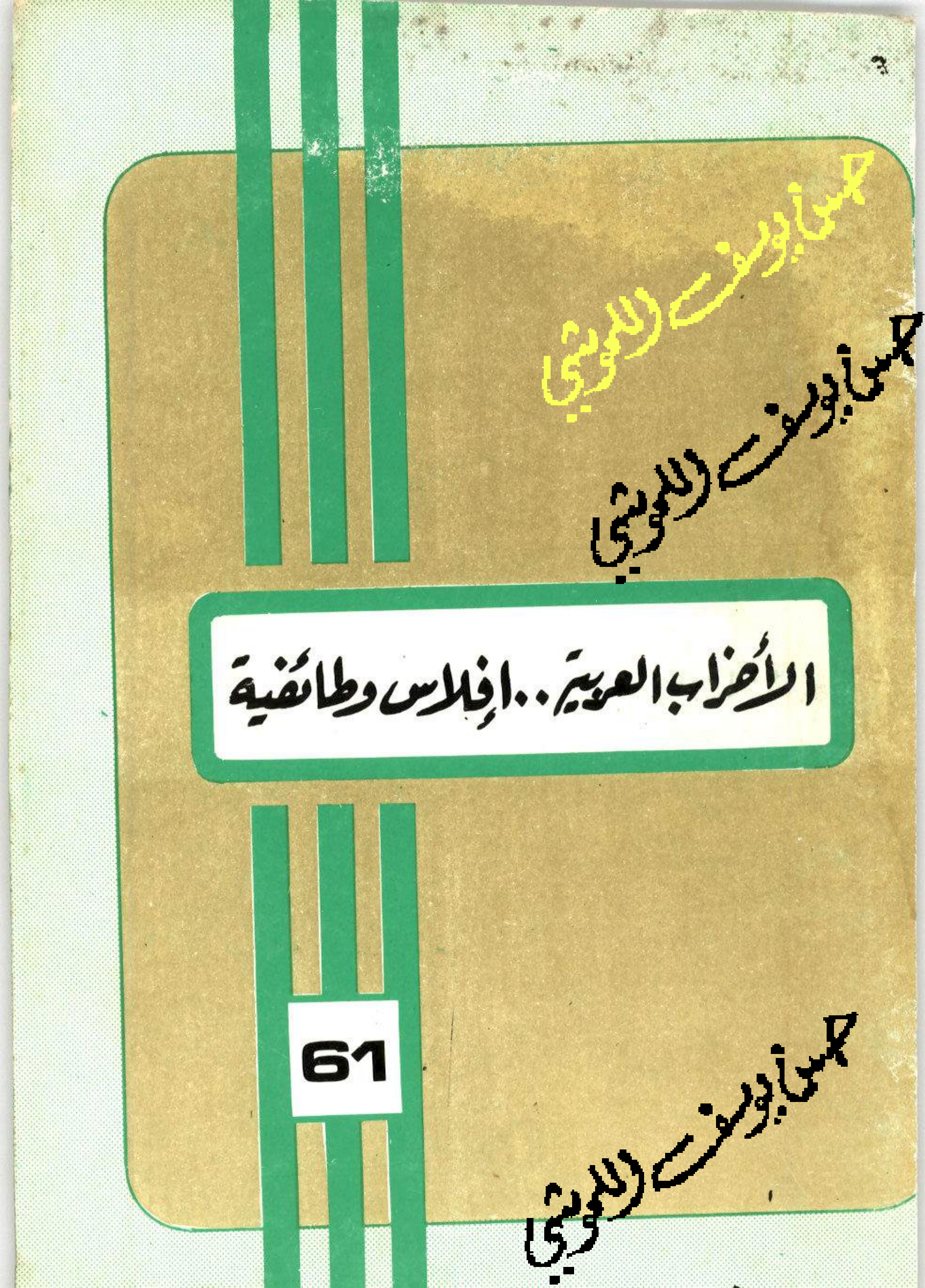


الأحزاب العربية .. إفلاس وطائفية
61

حسن أبو يوسف الدويشي

الاحزاب العربية :

افلاس وطائفية

الاحزاب العربية : افلاس وطائفية

لنبدأ بسؤال :

متى عرف الوطن العربي الظاهرة الحزبية ؟

بمعنى هل هى جزء من التراث العربي وحل لمعضل السلطة صنعها العرب وصاغوها .. أم هى ظاهرة دخيلة مستوردة منقولة كأى ظاهرة مستوردة ودخيلة جاءتنا معلبة من وراء البحر ؟

ولنضف سؤالا آخر :

ماذا أنجزت الأحزاب العربية والتنظيمات السياسية العربية مجتمعة من الشعارات التى رفعتها والبرامج والمبادىء التى أعلنتها ونادت بها ؟ .. ماذا أنجزت من اللافتات «و الايديولوجيات» التى اعتنقتها ؟

بمعنى بعد انقضاء أكثر من خمسين سنة كاملة غير

منقوصة على تشكيل وتأسيس الأحزاب السياسية في الوطن العربي ماهو التقييم العلمى والعملى والموضوعى لها ؟.

هل هى تجربة مثمرة بناءة تستحق تعميقها وتجذيرها وتوسيعها لتشمل العواصم والأمصار والثغور التى لاتوجد بها أحزاب ولتشمل الناس الذين لم ينضموا لأحزاب ؟

.. أم هل هى ظاهرة تشرذم وتفتيت ومؤسسة احتكار فتتت وشرذمت وحدة القاعدة الشعبية العربية بالايديو لوجيات العديدة التى اعتنقتها والآراء والأفكار المتناقضة المتباينة التى طرحتها والولاءات المختلفة التى نبتت تبعاً لذلك فحل الولاء الحزبي والولاء الثقافي والايديولوجى بل الولاء لأفراد حزبيين ولعلاقات حزبية محل الولاء للوطن العربي بأكمله وبدل الولاء للقومية العربية بأجمعها ولأمة العرب بأسرها .

ان الواقع العربي العملى القائم لا يحتمل تقييماً نظرياً وشكلياً للمسألة الحزبية لأن ذلك يقودنا بكل تأكيد إلى فخ الخديعة السياسية التى استثمرتها الأحزاب بطرحها

لشعارات وطنية وقومية براقة وجذابة انطلت على عموم الناس وكونت بها ثقلها الجماهيرى الذى تراه مسألة لازمة جداً لدخولها معركة انتخابية أو للضغط على النظام القائم ليقبلها تحت ذلك الضغط شريكاً سياسياً معه بالنظر إلى ذلك الثقل الضاغط الذى يشكل قوتها وتهديدها

ان تحليلنا لهذا الواقع شئنا أم أبينا من أساسيات وضرورات هذا التقييم الذى نحن بصدده لأن هذا الواقع الذى نعيشه ونتعايش معه أفرز معطيات جديدة على طريق التقييم الذى نبغيه لأنه هو الواقع نفسه الذى أنشأه ونشأ على ترابه وأيدته حقائقه الدامغة التى لا تقبل الجدل .. وبالتالى فاننا نعيش هذا الواقع ونعيش نجاحات أو فشل الأحزاب، انتصاراتها أو هزائمها التى لسنا في حاجة إلى أن نضع تكهنات نظرية أو احتمالات نظرية نحكم بها عليها بأنها ناجحة أم فاشلة . ففى الوقت الذى لم يعد يساورنا فيه الشك اطلاقاً ولم نعد في حاجة إلى المزيد من الدلائل والبراهين التى تثبت دون أدنى جدل خيانة الحكومات العربية وكافة أشكال السلطة الرسمية القائمة

فليس من أحد يشك في ان الحكومات العربية ليست عربية والجامعة العربية ليست عربية ومؤتمرات القمة ليست عربية بعد أن قدم السادات وحسين وفهد وبورقيبة.. الخ المشروع تلو المشروع للاعتراف بوجود العدو ، ان الحسن الثاني عندما خرج علينا بخيانة قومية جديدة لم يربكنا أو يجعلنا نطرح السؤال تلو السؤال ، ونبحث عن الأسباب والمبررات فبالاضافة إلى سجله الخياني الحافل فان تقييمنا للموقف الرسمى الخياني لا يستثنى الحسن الثاني المعروف برجعيته أو حتى بعض المتسترين برداءات التقدمية . ان ذلك التقييم لا يجعلنا نلح على الحكومات العربية في جمع الحد الأدني من الامكانيات وحشد الطاقات العربية للمواجهة وللمعركة القومية لأنها لم تفشل ولم تجرب حتى تفشل بل لأن نية الحرب والتحرير والمواجهة هي أصلا ليست واردة البتة عند الحكومات العربية أو مؤتمرات القمة على حدٍ سواء.

ان فشل الحكومات العربية وارتكابها للخيانة القومية . قد تأكد تماماً لأن الواقع أثبته فقد أضحى هؤلاء الحكام

حراس العدو وعسسه الذين لاينامون حتى يؤمنوا وجود العدو . وإذا كان هناك من سبب جوهرى فلأن تلك الحكومات وأولئك الحكام وتلك القوى الاقليمية والبرجوازية المتحالفة جميعاً وليدة تلك القوى الاستعمارية التى لم ترحل عن الوطن العربي إلا بعد أن أمنت مصالحها وامتيازاتها وضمنت بقاءها قائمة فهى التى رسمت الحدود الجغرافية السياسية وحددت بوابات العبور والعواصم ونصبت رموزها ... خدمها وعملاءها وأورثتهم السلطة كما أورثت تلك الطبقات التى عايشتهم الثروة . فهل يساورنا الشك في مولد النظام الأردني على يد الانجليز ؟ وكذلك كان مولد النظام في عُمان والسعودية وليبيا والعراق وتونس والمغرب التى أصبحت دولا لها أعلام وأناشيد وجوازات سفر .. كلها من صنع الغرب الاستعمارى الذى ائتمنهم على سياسته ومصالحه كما قال الجنرال «اللمبي» الحاكم العسكرى الانجليزى في مصر عندما وصفهم (بأصحاب المصالح الحقيقية) وقال عنهم :

« انه من الممكن أن يرحل الانجليز عن مصر وهم

مطمئنون إلى انهم خلفوا طبقة يمكن للانجليز أن يأتمنوهم على سياستهم في هذه البلاد .. » .

تلك حقائق تاريخية ليس هناك مجال لانكارها أو تجاهلها أو الشك فيها .. لقد أيدها الواقع بمزيد من القرائن والشواهد التى تخرج علينا يوماً بعد آخر والتى تفرط في الوجود العربي الذى أصبح بالفعل في خطر وتهديد لمحوه وتدميره وبالتالى لم يبق أمام العرب— كل العرب — لكى يحافظوا على وجودهم إلا أن يكافحوا على جبهتين كاملتين ، يكافحوا أعداثهم الحقيقيين من صهاينة وامبرياليين وحلفاء أعدائهم من بنى جلدهم (الحكام العرب) ، والسؤال : هل تستطيع الأحزاب العربية مجتمعة تحقيق مثل هذا الهدف القومى ؟ .

ان مسألة الحكم على الأحزاب العربية هى موضع جدل بكل تأكيد . والسبب هو أن الأحزاب العربية لاتجمعها ايديولوجية واحدة ولا تجتمع على اقامة شكل واحد من أشكال السلطة ولا تتفق على طريق واحد للتحرير أو الوحدة .. الخ .

وهذه بديهية فلو اتفقت ماعادت (أحزاباً) ولا عادت عصبيات . والسبب الآخر هو استغلال الأحزاب لشعارات براقة ولمضامين حساسة عند المواطن العربي سواء تلك الأحزاب التى تدغدغ شعوره القومى والوحدوى أو تلك الأحزاب التى تضرب على أوتار الحرية والمساواة والعدل .. الخ وبالتالى فهناك من يصدق ويقول بأن حزب البعث حزب تقدمى وثورى لأنه يرفع شعارات ثورية ووحدوية واشتراكية وان حركة القوميين العرب حركة قومية تقدمية وان أحزاب اليسار والمتمركسين العرب أحزاب تقدمية وثورية وانه لو قدر وانتهت هذه الحركات والأحزاب إلى السلطة وقبضت على زمامها لتغيرت خارطة الوطن العربي السياسية تغيراً جذرياً ولانقلبت موازين القوة فيه بشكل تقدمى وقومى كما ورد في شعارات ولافتات تلك الأحزاب .

والحقيقة إن هذا الادعاء على جانب كبير من الصحة (نظرياً) خصوصاً للذين لم يستوعبوا بعد لعبة الصراع

على السلطة وجدليتها وخفاياها المختلفة وأدواتها المتشابكة المختلفة .

نعود للسؤال :

متى دخلت الظاهرة الحزبية الوطن العربي ؟ .

ورغم اننا لا نستطيع تحديد موعد زمنى محدد يوماً أو شهراً أو سنة إلا أنها تعتبر ظاهرة حديثة نسبياً وبالتالى فهى ظاهرة « عصرية » كأى ظاهرة عصرية حملت إلى الوطن العربي أو جاءت إليه كما جاءت إليه سلع أوربا .. فهى ليست امتداداً تاريخياً لمؤسسة القبيلة أو العشيرة أو النجع أو التحالفات القبلية والعشائرية والنجعية التى كانت قائمة قبل الاسلام وتجاوزها الاسلام بالوحدة التى خلقها ووضعها في اطار دينى وقومى ولا هى امتداد لفكرة التشييع القائمة سواء على الاختلاف في تفسير القرآن الكريم التى ولدت المذاهب المختلفة أو على الاختلاف في من يتولى (السلطة) ويخلف الرسول (صلعم) على ادارة شؤون المسلمين بعد وفاته .

فالثابت تاريخياً انها ظاهرة حديثة كأى ظاهرة حديثة إذا قورنت بغيرها من الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية القديمة القائمة على الاحتكار والثابت أيضاً أنها ظاهرة أوروبية أمريكية بحتة يعود تاريخ ظهورها إلى ما بعد أحداث (كومونة) باريس سنة 1871 م وفشل عمال باريس حيث تعالت الأصوات وارتفعت

الصيحات منادية بايجاد حد أدني من العلاقات التنظيمية والسياسية لتنسيق توجهات وحركات الطبقات العاملة في أوربا ...

وتضمن البيان الشيوعى الذى أصدره ماركس وانجلز سنة 1848 م مخططاً شبه نظرى حول حزب البروليتاريا ووضعا منطلقات أساسية لهذا الحزب من حيث انه « حزب طبقي سياسى ثورى» كما وضعا له نظريته واستراتيجيته وتكتيكه وانتهى لينين إلى استكمال بنائه على أساس طبقى وتحديد كافة هياكله التنظيمية على ذلك الأساس وهكذا أخذت فكرة الحزب (التعصب) تتطور شيئاً

فشيئاً فظهرت في أمريكا أحزاب على نمط ليبرالى أخذت منحى آخر مغايراً لذلك النمط الماركسى القائم على أساس طبقى وأصبحت الأحزاب من وجهة النظر الليبرالية تجمع مجموعة من الناس على أساس عقائدى أو مصلحى.. الخ تحاول عن طريق الانتخابات الوصول إلى السلطة .. وهكذا تحولت فيما بعد كل تلك التنظيمات والأندية والتجمعات المختلفة في أوربا وأمريكا إلى أحزاب عصرية وحديثة لها أهدافها وشعاراتها وعقائدها المختلفة من حزب لآخر والتى لم تعد قوى ضاغطة على السلطة السياسية القائمة من أجل القيام باصلاحات محدودة بل انتهت إلى المطالبة بالسلطة وبالاستيلاء عليها والوصول لها بأى شكل وبأى ثمن. وهكذا أصبح العالم الآن يعج بالأحزاب الليبرالية والماركسية و« الديمقراطية » ! والفاشية ، والتقدمية ! والرجعية والقومية ! والأممية .. الخ التى رغم اختلاف مسمياتها وأشكالها البنائية والتنظيمية والعقائدية ورغم اختلاف شعاراتها ولافتاتها الشكلية إلا أنها تتحد في مضامينها وبشكل خاص في ان السلطة غايتها الأساسية والنهائية

وبأنها قائمة على مجموعة من ذوى الاتجاه الواحد والنظرة الواحدة والقناعة الواحدة والهدف والمصلحة الواحدة الخ .. وهكذا بتنا نرى حزباً في السلطة وآخر يسعى لاسقاطه منها وحزباً يسقط من السلطة التى يصل إليها آخر الذى امتلئت صناديقه بأوراق الناخبين لأنه قدم لهم الوعود والعهود ومناهم بالرفاهية بدون حدود والتى تصبح بعد حين حجة لحزب معارض في اطار الصراع والتطاحن . وهكذا نرى ائتلافات حزبية وتحالفات حزبية كتلك الائتلافات والتحالفات القبلية التى كانت قائمة قبل ظهور الأحزاب .

ان تجزئة الشعب إلى أحزاب أوتقسم ارادته بينها أصبح حقيقة واقعة لا تعانيها الأحزاب وحسب بل يدفع ثمنها الشعب الذى يقبل ان يضع ثقته في صناديق الأحزاب ويولى أموره للبرلمانات التى تقرر مصيره ومستقبله ثم يكتشف ان كل تلك الوعود قد تبخرت فيضع صوته في صندوق آخر أى لحزب آخر وهكذا فان

الأحزاب لا تستطيع أن تغطى هذه الحقيقة أو تحجبها مهما مثلت الأكثرية ومهما جمعت من قوائم حزبية ومهما صرفت من دعاية ومهما ائتلفت أو تجمعت أو تحالفت ضد الشعب الذى اكتشف في كل العالم لعبة الأحزاب ولعبة الصناديق والأوراق وحقيقتها فعزف عنها وتظاهر ضدها . وهى حقيقة تدعمها الأرقام فالناخبين في فرنسا موزعون لا يتجاوزون الـ 30٪ من عدد السكان وهكذا في أمريكا وبريطانيا وعدد المنضمين للحزب لا يتجاوز الـ 17 مليون من مجموع الـ 270 مليون في الاتحاد السوفيتى وهكذا في أمريكا وغيرها .

ان الأحزاب في الواقع ظاهرة طبقية لأنها تعبر عن مصالح جزء من الشعب وليس كله وبالتالى فان التصادم الحزبي أو الصراع الحزبي وما ينشأ عنه من ائتلافات حزبية أو تصادمات حزبية هى في الواقع ناشئة عن اختلاف المصالح واختلاف الايديولوجيات والسبل التى تطرحها الأحزاب وهى من أجل كسب المزيد من المصالح الطبقية التى لا تتحقق في شكلها النهائي إلا بالاستيلاء على السلطة

وهى ذاتها المصالح والوعود التى تتبخر فيما بعد فالمطالب الحزبية تخفى وراءها غاية السلطة وتختفى في ظلها الأطماع الشخصية والامتيازات والمنافع لقيادة الحزب ولطليعته فلا تتحقق حتى سيادة جزء من الشعب الذين هم في الحزب .. بل تتحقق سيادة طليعة الحزب الحديدية . بل سيادة طليعة الطليعة الحزبية .

نعود إلى حيث انتهينا . فان كل تلك الأشكال والمؤسسات الثقافية والسياسية والنوادى الفكرية كالتى أسسها ناصيف اليازجى وبطرس البستاني .. والأفغاني أو الايراني .. وغيرهم ابان الاحتلال العثماني التركى للوطن العربي لم تكن تحمل طابعاً حزبياً ثم تطورت إلى ما يشبه الأحزاب في بنائها وتنظيمها كجمعية الاخاء العربي والعربية الفتاة ثم اتخذت طابعاً قومياً اكتسبته عقب الصراع الذى احتدم بين حزب (الاتحاد والترقي) في تركيا الذى أصبح برنامجه قائماً على تحديث تركيا وبناء القومية التركية (الطورانية) وأصبح يدعو إلى (تتريك) المناطق العربية ، وبين تلك الجمعيات العربية

التى أصبحت تركز على مسألة الانفصال بدافع قومى وأصبحت تركز على بناء الدولة القومية العربية والاستقلال عن تركيا .

ان ذلك الصدام القومى قد تجاوز العامل الدينى الذى كانت تؤسس عليه تركيا حكمها للعرب باسم الخلافة والاسلام والمسلمين واتخذ ذلك الصدام أشكالا حزبية ألبسها له الغرب الذى كان يخطط ويبحث عن المدخل الملائم الذى يدخل منه إلى الوطن العربي وبالتالى استثمر الغرب حركة القومية العربية ضد القومية التركية الطورانية فكالوا للشريف حسين المديح وكالوا لـه الوعود سنة 1916 م فوعده (مكماهون) بأن ينصبه ملكاً على كل العرب ويضع لـه تاجاً وكرسياً عندما ينتهى الوجود التركى ويتحرر الوطن العربي كما كال الغرب ذاته للحركات القومية في سوريا الوعود ومناهم بالاستقلال والحرية إذا هزمت تركيا . وعندما هزمت تركيا واندحرت وانتهى الغرب من مشكلتها واستلموا مواقعها استداروا إلى حلفاء الأمس (الدعوات القومية والوحدوية العربية) التى

أصبحت تشكل خطراً مستقبلياً بالفعل ينذر بتهديد أمن الغرب ووجوده ومصالحه وامتيازاته فوق الأرض العربية التى حارب العرب من أجلها تركيا . بالتالى لم يكن أمامهم لكى يحافظوا على وجودهم وامتيازاتهم الاستعمارية إلا أن يقسموا الوطن العربي إلى ممالك وأمصار ومربعات شطرنجية ويرسموا له جغرافية سياسية جديدة قائمة على قوى حاكمة ومعادلات سياسية جديدة تمثلت في حكام منتقين وحكومات تابعة واقتصاد استهلاكى تابع .. وحتى يحافظوا على تلك الجغرافيا التى أقاموها وذلك التاريخ الذى كتبوه كان أمامهم :

1 ــ تنمية الحركات الطائفية وتشجيع النعرات الطائفية (كالفنيقية والاشورية والبربرية والفرعونية .. الخ) فهم الذين ربوها ورعوها وشجعوها ليواجهوا بتلك الحركات الاقليمية والجهوية والطائفية .. الخ حركة القومية العربية امعاناً في تمزيق الوحدة القومية العربية وهو الأمر الذى مازلنا نعيش مآسيه ومرارته القائمة إلى يومنا هذا وهو ما جسدته تلك الأحزاب في شكلها الطائفى

والجهوى والاقليمى القائمة الآن على تلك الأسس والمعادلات التى خططها الاستعماريون الأوروبيون الامبرياليون كالحزب القومى السورى الاجتماعى الذى لا يعترف بقومية عربية خارج اطار الهلال الخصيب ، وكالحزب الدستورى في تونس الذى يحمل شعارات قومية (تونسية) وجهوية ضيقة ويشجع على الانفصال القومى والتشرذم القومى كما يشاء الفرنسيون . وكالحزب الوطنى المصرى الذى لا يعترف إلا بحرية مصر واستقلال مصر وسيادة مصر والذى اجتمع له العديد من الكتاب والمثقفين المصريين الانعزاليين ذوى النزعة الاقليمية وشككوا في عروبة مصر الصافية وطرحوا قومية مصرية مستقلة وأمة مصرية فرعونية . وهكذا هناك أحزاب سودانية ترفع مثل هذا الشعار .. واحزاب مغربية .. وشامية .. الخ.

2 ـ احتواء الأحزاب والتنظيمات التى تطرح شعارات القومية والاشتراكية أى مواجهتها من داخلها سواء بتسلل القوى الانتهازية داخلها أو بادخالها شريكاً سياسياً مع الأنظمة الحاكمة وبالفعل فقد تعايشت قوى

اقليمية مع قوى قومية كما يريد الغرب الامبريالى فاحتوتها وطوعتها لغايات اقليمية مناقضة لشعاراتها التى رفعتها .

3 ـ تشجيع الحركات والأحزاب والتنظيمات الدينية وتقويتها لمواجهة التيار القومى كالحركة المهدية في السودان والسنوسية في ليبيا والوهابية في الجزيرة العربية والاخوان المسلمين وحزب التحرير الاسلامى .. وهى حركات وأحزاب استغلت الدين واستثمرت الشعارات الدينية في صراعها من أجل السلطة وليس لتخليص الدين من الخرافة والشعوذة والحيلولة بين الحكام واستغلال الدين وقهر الناس والعودة به إلى نقائه وبساطته الأولى ومسايرته لظروف العصر . ليس كل هذا إلا وسيلة في اطار دغدغة الجماهير والسيطرة على عواطفها باستعمال صور مشوهة للدين باعتبارها قوة مؤثرة في الكتل الجماهيرية الغبية الجاهلة بالمبادىء الحقيقية للدين وبمبادىء الصراع على السلطة وقد ظهر التناقض بين الشعارات التى رفعوها عندما كانوا خارج السلطة وبين السلطة التى أقاموها فيما بعد .

مثلا ، عندما استلم السنوسيون السلطة في ليبيا تعايشوا مع الاستعمار الطلياني الاستيطاني عدو الاسلام وعدو العروبة ومنحوا القواعد للأمريكان والانجليز أعداء العرب والمسلمين ولم ينظفوا الدين من شوائبه كما كانوا يقولون بل زادوه ترهات وأضافوا لـه ما يثقله ولم يغلقوا خمارة أو يمنعوا الخمر .. الخ وهى حكاية كلنا عاشها ويعرف كيف كانت الأمور تسير في ليبيا وهكذا هو الحال في الجزيرة العربية والسودان كما السنوسية قائمة على أساس طائفى أو قبلى أو عائلى فحزب الأمة في السودان هو حزب طائفة المهدية وهكذا بقية الأحزاب في السودان مثل حزب الأنصار الذى يمثل طائفةوحزب الاتحاد أو الاتحادى الديمقراطى يمثل طائفة .. الخ من الانقسامات والاندماجات التى ترتديها بقية الأحزاب السودانية وتجعلها في طراز عصرى إلا أنها لا تخرج عن مضمونها الفئوى والجهوى الذى يعبر عن طائفة الختمية أو المهدية أو غيرهما من الطوائف .

نعود إلى حيث انتهينا إلى ذلك التأثير الذى حل بالوطن

العربي فنظم أوروبا السياسية والاقتصادية التى خرجت منتصرة بعد الحرب العالمية الثانية وورثت رقعة الوطن العربي،وهو تأثير في الواقع لم يتوقف عند حد اقتباس الأنماط الحياتية الأوربية البرجوازية في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والتعليم .. الخ بل حلت تلك الأنماط محل النظم الدينية الموروثة وانتهت إلى ازاحتها بالكامل أى أنها لم تنافسها في اطار طبقى بل دمرتها وأنشأت على أنقاضها نظمها ومؤسساتها فالطبقات الجديدة التى نشأت أصبحت قائمة على عصبيات وطنية وطائفية وجهوية وقومية حتى تقوى على مواجهة العصبية الدينية التى كانت قائمة وبالتالى أصبح التعبير عن مصالح تلك العصبيات وحل تناقضاتها وترتيب تحالفاتها قائماً في شكل حزبي بدلا من المذاهب الفقهية والطرق الدينية والصوفية التى كانت قائمة عندما كانت السلطة صبغتها دينية .

ان علاقة أوربا بالوطن العربي في الواقع لم تكن علاقة الند للند بل كانت علاقة واتصال غالب ومغلوب وبالتالى فان الاستعمار الأوربي كان يملى الشروط التى

تناسبه في ترتيب البيت العربي حسبما تمليه عليه مصالحه وامتيازاته وليس من عجب ان يخطط الجغرافيا كما يريدها ويضع الحكام الذين يختارهم ويقوى الطبقات البرجوازية التى نمت في ظله وتحالفت معه وتزاوجت معه لأنه وكما أسلفنا كان منتصراً وهو السبب الذى جعل كافة أشكال السلطة والطبقات البرجوازية لا تتعدى ما ترسمه عواصم الغرب ولا تخرج قيد أنملة من دائرة الولاء والتبعية للغرب والآن لو ألقينا نظرة إلى الخارطة السياسية والحزبية في الوطن العربي لأدركنا شكلها وتبعيتها فهناك دول لايسودها أى شكل من أشكال العمل السياسى والتنظيمى الحزبي أو الجماهيرى ، والسلطة فيها مركزية قائمة على قبيلة أو أسرة أو عشيرة كما هو الحال في أغلب الجزيرة والخليج العربي التى يحتكر فيها الأمراء والسلاطين في الكويت وعمان والبحرين والسعودية .. كل سلطة وكل قرار . وهى أنظمة كما أسلفنا لا تخرج عن الولاء للغرب الذى صنعها ، أنظمة قائمة على الحزب الواحد الحاكم الذى تتنوع انتماءاته الاجتماعية أو الطبقية من حزب ماركسى في

اليمن الجنوبي قائم على مبدأ طائفى أى يمثل طائفة الزيدية بالمقابل الحزب الليبرالى القائم في شمال اليمن يمثل طائفة الشافعية .

أو حزب « وطنى » أو حزب تقليدى محافظ حكومى كما هو الحال في تونس . أو حزب واحد « قومى » كما هو حال حزب البعث في العراق وسوريا .. الخ .. دول تجمع بين ظاهرة الحزب الواحد الحاكم وشكل من أشكال الجبهة مع أحزاب أخرى كما هو الحال في سوريا التى تشكلت فيها جبهة تضم نظرياً مختلف الأحزاب (الجبهة التقدمية) تحت سيطرة وقيادة وهيمنة حزب البعث الحاكم .. وهو ما قد يلجأ إليه الحزب الحاكم في تونس أو في غيرها من النظم الحزبية وذلك بغرض احتواء التيار الشعبى الذى فقد ثقته بالحزب الحاكم ،

دول تتعدد فيها الاحزاب كما هو الحال في لبنان والمغرب ومصر وهو تعدد شكلى فتكون للحزب الحاكم كل السيطرة وتكون بقية الاحزاب هامشية تابعة له أو معارضة منبوذة ومطاردة . وحتى المعارضة الحزبية

فانها تستثمر من قبل افراد يحصلون بها مزايا ومنافع كما هو قائم في مصر التى تشكلت فيها قوى المعارضة التى جمعت القوى الناصرية والماركسية والوطنية عامه في حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى المعارض . نعود للسؤال :

ماذا انجزت الاحزاب العربية من المهام التى تعهدت بها ومن الشعارات التى طرحتها ؟

مثلاً ماذا انجز حزب البعث العربى الاشتراكى الذى يقبض على السلطة في دمشق وبغداد من شعاراته الاشتراكية وماذا فعل بشعاراته الوحدوية والقومية؟ان الاجابة لا تبدو صعبة لان الواقع الذى نعيشه يثبت مصداقيتها . فتلك الشعارات مازالت في الواقع محلها معلقة على الجدران ولم تتعد المنشورات الحزبية البعثية ولم تخرج خارج أوراق الصحف البعثية ... فهو اى (البعث) لم يتنكر لها بل مازال يضعها في موضع متقدم عن كل اهدافه وشعاراته وحدة ـ حرية ـ اشتراكية وهو في الوقت نفسه لا يطبقها وينفذها تحت مختلف الحجج الواهية والاعذار المصطنعة سواء نضج الظروف وغيرها وينحى باللائمة على غيره من

الاحزاب والانظمة والحكومات يمسح فيها عجزه ويسقط عليها عيوبه وتعاجزه وطبيعته القبلية والطائفية والخلاصة : عجزت تلك الاحزاب والتنظيمات المختلفة في تحقيق المهام التاريخية العظيمة كالوحدة والتحرير وبناء الدولة القومية العربية الواحدة وبناء التقدم والاشتراكية ولسنا في حاجة الى المزيد من الدلائل والشواهد التى تثبت هذا العجز اكثر من الواقع الحيانى والاقليمى وا لجهوى القائم في الوطن العربى الذى لم تستطع ان تفعل حياله تلك الاحزاب شيئاً بل دخلت شريكا سياسياً مع الانظمة القائمة واصبحت تؤكد وتعمل على تكريسه وحمايته و تأكيده .

لقد اخفقت الاحزاب والتنظيمات السياسية الثورية والتقدمية على حد سواء في تحريك الشارع العربى وفي تحقيق الحد الادنى من الشعارات واللافتات الحزبية كما اخفقت حتي الاحزاب اليمينية والرجعية في تحقيق الشعارات التى تسترت بها وصارت جميعاً لاتتعدى الواجهات الديمقراطية الهشة ولاتتعدى الدور الذى خلقت من اجله لتفتت وحدة القاعدة الشعبية بتوزيع الولاءات ولهضم ذروات التوتر الشعبى والقيام باصلاحات محدوده وللمحافظة علي الاتزان

بين السلطة والشارع العربى. ان هذا الحكم النهائى المطلق لا يحمل أى تحامل أو ظلم أو تعسف فقد رأى الشارع العربى تلك الاحزاب ووقف على حقيقتها وتقييمها بنفسه رغم انه لايزال في أجزاء من الوطن العربى يوجد من يناضل من أجل انشاء حزب أو من أجل أن يكون له حزب يرفع صوته ويحمل وجهة نظره .

إن حكماً كهذا قد يبدو فيه شطط ومغالاة ، إذ كيف نجمع سوياً أحزاباً ترفع شعارات القومية والتقدمية والنضال ضد الصهيونية والامبريالية جنباً إلى جنب مع أحزاب يمينية رجعية موالية للاستعماريين الذين أسسوها لكن الذى نورده هنا هو حكم «ايديولوجى» وليس حكماً سياسياً برغم التداخل الضرورى بين الاثنين . ان الحزب الحاكم المتسلط هو الحزب الحاكم المتسلط على رقاب الجماهير الشعبية بغض النظر عن تقدميته أو رجعيته ، ففى الحالتين يضع الحزب الحاكم نفسه في مواجهة الجماهير الشعبية ، وإذا كانت الأحزاب التقدمية مخلصة حقاً لجماهيرها فإنها لايمكن أن تسمح لنفسها أن تكون أداة

سلطوية تحكم الجماهير ، بل على العكس من ذلك فهى تسعى إلى تحويل نفسها إلى أداة ثورية تناضل بالجماهير ولأجلها بغية تحقيق سلطة الشعب وتأكيدها .

وهكذا يمكننا القول ان مختلف أشكال التنظيمات والهيئات والاحزاب والمنظمات على المستوى القومى في الوقت الراهن لا تملك الحد الادنى من المقومات المطلوبة ومن التنظيم المطلوب والقوة المطلوبة التى تتناسق مع الشعارات البراقة المرفوعة وحتى اذا استثنينا الحركات والاحزاب والمنظمات الرجعية والبرجوازية أو التى اصبحت تقليدية ومنظمات «بيروقراطية» وشكلية كالقوميين والبعث فأن الاحزاب الناشئة والمنظمات النشطة كالحركات الدينية والاحزاب اليسارية لم ولن تتجاوز هذا المعضل بخطوة واحده .

والسؤال لماذا عجزت الاحزاب العربية وفشلت في انجاز المهام الوحدوية والقومية ؟

هل السبب يعود الى ايديولوجياتها التى اعتنقتها أوطبيعتها ام الى اسباب أخرى أوأنها اداة قد تجاوزها العصر ومنطقه ؟

والحقيقة هى أن هذا العجز يعود الى جملة من الاسباب تتصل بالاحزاب ذاتها يأتى في مقدمتها :

اولاً : طبيعتها الحزبية :

فحركة القوميين العرب مثلاً اسسها المسيحيون العـرب الارثوذكس الذين كانوا يخافون تحرير الوطن العربى بعـد الحرب العالمية الثانية وتوحيده على اساس دينى باعتبار ان آخر وحدة شهدها الوطن العربى كانت دينية كالعباسية والاموية والفاطميـة والعثمانية .. وتحت هذا الخوف من استنهاض الامة العربية وتأسيس امبرطورية اسلامية أو دولة دينية في الوطن العربى – يكون فيها المسيحيون العرب اقلية ومن أهل الذمه يدفعون الجزية ويعاملون معاملة المسيحى في دولة اسلامية . بادر المسيحيون الذين تعلموا وتخرجوا من اوربا الى طرح شعارات قومية والى اقامة احزاب علمانية حتى يكون البديل قومياً وليس دينياً فيضمنون ان يتساوى المسيحى بالمسلم في اطار قومى علمانى .

والأحزاب الشيوعية لم تخرج عن هذا المنوال فقد أسس خالد بكداش الحزب الشيوعى السورى في المشرق العربي وهو (كردى) لأن الأكراد (أقلية) فإذا قامت الوحدة العربية أو الدولة العربية على أساس (قومى)

فان الأكراد سيكونون أقلية مضطهدة لكن لو قامت دولة شيوعية في الوطن العربي فتختفى الفوارق القومية بين هذا عربي وهذا كردى لأن الجميع سيصبحون مواطنين شيوعيين في دولة أممية وليست قومية .

والأحزاب الشيوعية في مصر وفي تونس والمغرب أسسها (اليهود) الذين يعتقدون نفس الاعتقاد إذا توحد الوطن العربي على أساس قومى أو دينى يصبحون فيه أقلية ومن أهل الذمة وبالتالى بادروا وطرحوا الشيوعية ليس من أجل الاشتراكية أو من أجل الايمان باطروحات ماركس ولكن من أجل أن يصبحوا متساوين مع العربي الذى ينتمى للأمة العربية التى ستختفى ويصبح الجميع مواطنين شيوعيين في دولة أممية .

وتأسيس الاخوان المسلمين .. يمثل الالتجاء إلى أممية اسلامية كبديل للقومية العربية وهو طرح طرحه أولئك الذين يشعرون بأنهم ليسوا عرباً وعندما تتحقق أممية اسلامية يصبح هذا مسلم وهذا مسلم متساوين سواء الذىينتمى إلى أقلية أم إلى أكثرية، لقد صنع الانجليز هذا

التيار ليواجهوا به التيار القومى من الأقليات فأسسوا (حزب الاخوان المسلمين) مراعاة للاتجاه الديني وبغرض احتوائه والاستفادة منه وانتقوا شاباً مصرياً (حسن البنا) من عامة الناس ومن الطبقة المعدومة وتم تدريبه على سلوك ديني ولقن أفكاراً مؤثرة وذات مفعول على أدمغة الناس وسلوكهم في تلك الفترة التي كان فيها الوطن العربي يعاني أزمة فراغ سياسى وعقائدى وفكرى .

أما حزب البعث العربي الاشتراكى فقد أسسه النصارى الارثوذكس لنفس السبب السالف الذكر أى ليكون البديل القومى عن الديني ومؤسسه (ميشيل عفلق) عربي مسيحى .

وكذلك الحال في اليمن حيث نجد طبيعة الأحزاب قائمة على أساس طائفى ففى الشمال رغم مظهره السياسى اليميني إلا أن قاعدته تعتمد على طائفة الشافعية وفي الجنوب رغم مظهره السياسى الماركسى إلا أن قاعدته تعتمد على طائفة الزيدية .

والحزب الاشتراكى التقدمى الذى أسسه كمال جنبلاط

ويترأسه الآن وليد جنبلاط رغم عنوانه السياسى والتقدمى والعصرى إلا أنه في الواقع حزب طائفة الدروز ، كما أن حزب البعث العراقي حزب قبلى قائم على (التكارتة) وكما أن حزب الأمة السوداني حزب طائفة المهدية كما تمثل حركة أمل حزب طائفة الشيعة في لبنان أما أحزاب المرابطون أو الاتحاد الاشتراكى والناصريون المستقلون وتنظيم صيدا فرغم اسمائها السياسية أو الثورية ورغم شعاراتها التقدمية والاشتراكية إلا أنها تعبر عن طائفة السنة في لبنان التى تختفى وراء هذه الواجهات السياسية وهكذا كانت الحركة السنوسية رغم واجهتها الدينية حركة طائفية وقبلية للسنوسيين مثلما كان الأمر بالنسبةللحركةالوهابية التى لم تزدعن كونهاحركة طائفيةوقبلية .

والحركة الشعبية في المغرب هى كذلك تعبير طائفى وحركة عنصرية شعوبية يتزعمها المحجوب حريضان الذى كون مجموعة تؤمن بالبربرية وبانهم ليسوا عرباً وتزعمها ليؤكد شعوبيتها وانعزالها وعدم عروبتها ليجنى المصالح الطبقية من وراء تلك الزعامة واثارة تلك النعرة .

وهكذا فان الأسباب الشعوبية والطائفية هى التى تشكل طبيعة الأحزاب والتنظيمات السياسية القائمة في الوطن العربي .

وليست تلك الشعارات البراقة إلا ستاراً تختفى وراءه تلك الغايات الشعوبية والطائفية والقبلية والجهوية والعائلية والطبقية .

وهذا هو السبب الرئيسى في فشل هذه التنظيمات والأحزاب في تحقيق الأهداف والشعارات التى أعلنتها لأنها أصلا لم تأت لتحقيقها وإنما هى وسيلة للمحافظة على مصالح ووجود زعامة عائلة أو قبيلة أو جهة أو طبقة أو طائفة وبالتالى فانها تعمل على تكريس واقع الطائفية والشعوبية والقبلية والجهوية بدلا من تدميره وهذه حقيقة لايمكن انكارها فإذا ذاب الدروز فان زعامة جنبلاط تختفى وينهار الحزب التقدمى الاشتراكى بكل تأكيد ولذا فهو يعمل من أجل ألا يذوبوا .

وإذا تحققت الوحدة العربية والدولة القومية العربية يصبح اليهود والأكراد أقليات ولذا فهم يعملون من أجل ان لا تتحقق الوحدة القومية .

وإذا تحققت الوحدة الاسلامية أو الدولة الاسلامية يصبح الأقباط واليهود والمسيحيين من أهل الذمة ولذا فهم يعملون بأحزابهم على ألا تتحقق .

وإذا تحققت اذابة الشيعة والسنة فعلى من يتزعم نبيه بري وجنبلاط وإذا انتهت طائفة المهدية فعلى من يتزعم الصادق المهدى وهكذا تقف الطبيعة الحزبية الطائفية والشعوبية والأمية دون تنفيذ الشعارات الحزبية وهو ما اكتشفه الشارع العربي باكتشافه حقيقة تلك الأحزاب الى بنيت على أسس طائفية أو قبلية أو جهوية أو شعوبية أو أمية وحققت زعامات ومصالح لعائلات وأفراد كالسنوسية والمهدية وآل سعود .. وبورقيبة والحسن الثاني ومشيل عفلق وحريضان . . الخ .

ان عزوف الشارع العربي عن الانتماء للأحزاب أو الانضواء تحتها لدليل هام على اكتشافه لحقيقتها وطبيعتها الطائفية والقبلية والجهوية والاقليمية .

وثاني أسباب ذلك الفشل يعود إلى الايديولوجيات والحلول الجاهزة التى اقتبستها أو نقلتها أوصنعتها الأحزاب العربية وهى نظريات قائمة على قواعد الاحتكار والاستغلال

والعسف وبالتالى انعكست في التناقضات الايديولوجية والخصومات العقائدية في الوطن العربي .. فرغم اللافتات الديمقراطية التى ترفعها الأحزاب نرى الاختلاف والتباين حول تلك الديمقراطية، فبعضها يراها في مجالس نيابي وبرلمان أو حكم حزبي مطلق وآخرون يرونها في ربما في حكم ملكى . ان تلك الاختلافات النظرية قد ولدت ولاءات حزبية متعددة مرتبطة بخارج الوطن العربي فالماركسيون مثلا موالون لموسكو والليبراليون موالون للغرب والماويون موالون لبكين سابقاً والخمينيون موالون لطهران .. والشيعيون موالون لطهران .. الخ .وان ذلك الولاء وتلك التناقضات قد انعكست بصورة مباشرة على حل مجمل القضايا والمعضلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فالأحزاب البرجوازية والليبرالية التى تؤسس حياتها على التعايش مع الغرب تعمل على بقائه والأحزاب المؤسسة على الماركسية تعمل على زيادة نفوذ موسكو وليس من الغريب بالتالى أن تنعكس حتى على القضايا الكبرى وهى قضية التحرير والوحدة، فبينما ترى أحزاب راديكالية التحرير الكامل بالبندقية ترى أحزاب رجعية التحرير

بالمفاوضات والاعتراف بالعدو والتعايش معه . وليس غريباً أن أصحاب التحليلات الحزبية للأحزاب الماركسية التى كانت يائسة في مطلع الخمسينات من إمكان تحرك ثورى عربي أو ثورة طبقية في الوطن العربي قادهم تحليلهم إلىأعتبار ان إنشاء (اسرائيل) كدولة (تقدمية) من شأنه ان يحرك القواعد الطبقية ويحطم الاقطاعيات العربية الممالئة والمنحازة والمتحالفة للاستعمار الغربي وارتكبوا خطأ ايديولوجياً واستراتيجياً فادحاً عندما اعتبروا الحرب العربية في فلسطين عام 1948 وكأنها حرب مصطنعة شنتها الدول العربية لتصرف بها اهتمام الشعب العربي عن الأوضاع الداخلية المتردية فقد أدى هذا الموقف إلى مزيد من العزلة عن الجماهير العربية .. وهكذا مثلا تحول حزب الوفد المصرى إلى حزب ارستقراطى اصلاحى موالٍ للانجليز بعد ان تنكر لكل شعاراته الوطنية والقومية ودخل شريكاً سياسياً مع الانجليز والملك فاروق وقبل دستور 1930 م ومعاهـدة 1923 التى صاغـها الانجليز . وكذلك حركة الاخوان المسلمين في مصر التى انتهت إلى مشاركة الحكومـة الملكية السلطة وهو ما جعلها تقف

والوفد في معارضة الثورة الناصرية التى تجاوزت تلك التنظيمات مجتمعة بشعاراتها القومية والوحدوية والاشتراكية وبمبادئها الستة التى راح عبد الناصر ينفذها في شكل قوانين الاصلاح الزراعى وقوانين التأميم وتحديد الدخل وتحسين مستوى المعيشة وتقريب التفاوت الطبقى ومجانية التعليم والخدمات المختلفة ... وهى انجازات عجزت الأحزاب المصرية مجتمعة ان تنجزها عندما كانت في السلطة وبالتالى سحب عبد الناصر منها تلك الثقة الجماهيرية والولاء الجماهيرى للثورة ونفسه وكشف عن انها واجهات ديمقراطية هشة وعن تركيباتها الطبقية والارستقراطية وعن تآمرها وخياناتها وارتباطها بالانجليز وغيرهم .

لقد تجاوز عبد الناصر تلك الأحزاب وأثبت فشلها لأنه طرح شعارات قومية واشتراكية ووحدية نابعة من الوطن العربي ونبتت فوق ترابه وليست مستوردة عبر النشرات السرية التى تتعاطاها التنظيمات الماركسية والاخوانية واليسارية . لكنه في الواقع لم يتجاوزها بنظرية متكاملة للتغيير الثورى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً تجعل كل تلك النظريات التى اقتبستها واعتنقتها الأحزاب في سلة المهملات ،

كما لم يتجاوزها بتنظيم ثورى جماهيرى لا يقوم على نخب وطلائع فكل تنظيمات عبد الناصر الرسمية والشعبية والثورية كانت في اطار الدولة التى يقودها والسلطة التى نشأت فيها ولم تخرج عنها .

— ثالثاً انها أدوات تجاوزها الزمن .

والحقيقة ان الأحزاب أدوات العشرينات والأربعينات فقد كانت أدوات تقدمية مثلما كانت الماركسية والنظريات اليسارية تقدمية آنذاك لأنه لم يكن هناك بديل أكثر تقدمية منها .. إلا انها ليست لهذا العصر ومهام هذا العصر فالمسؤوليات التى تصدت لها والمهام التى تعهدت بها كالتحرير والوحدة والاشتراكية والديمقراطية .. الخ هى مهام ثبت بما لا يدع مجالا للشك انها لا تتحقق بحزب وطليعة أو بائتلاف حزبي ولا تتحقق إلا بحركة جماهيرية وليس بأحزاب بديلة عن الشعب حلت محل الشارع العربي ولم تحركه باتجاه تحقيق الوحدة والتحرير أو باتجاه الصدام الفعلى مع أعداء الوجود العربي بأكمله من الصهاينة

وحراسهم . ان الأحزاب العربية لم تهزم ولم تنته إلى مرحلة الشيخوخة وحسب بل لقد اكتشف الشارع العربي الذى كان قد أعلن ولائه من قبل لتلك الأحزاب التى عبرت في شعاراتها عن طموحاته الوحدوية ومشاكله الاقليمية .. اكتشف انها ليست أدوات تقدمية وليست في مستوى ما عبرت عنه وليست في مستوى طموحه الوحدوى وأحلامه الاشتراكية وحتى تلك الانقلابات الحزبية داخل الأحـزاب تمثل حـلا مخادعـاً وتبريراً للعجز الحزبي اكتشفه الشارع العربي ولم تعد تلك المزايدات الكلامية واللفظية بذات جدوى كما حدث (للبعث) تذهب طليعة وتأتي طليعة، تذهب اسماء لتأتي اسماء وتنشق مجموعة على مجموعة تحت مبررات تقليدية الحزب أو تحديثه أو السلوك السياسى أو الانحرافات العقائدية التى تعزوها الأحزاب بأنها كانت وراء الفشل وان مرحلة جديدة قد بدأت بوجوه جديدة .

لقد اكتشف الشارع العربي كل اللعبة الحزبية وأدرك كل حيثياتها وأدرك افلاس الأحزاب . فالحزب الدستورى

في تونس (الحزب الحاكم) لايمثل إلا4٪ من عدد السكان والجماهير العربية الشعبية في تونس لم تنضم إلى أحزاب المعارضة سواء القومية أو الأممية أو الجهوية الخ لأنها أدركت اللعبة الحكومية والحزبية في الآن نفسه فالحكومة التونسية هى التى صنعت تلك الأحزاب المعارضة ومنحتها رخص مزاولة النشاط السياسى وصنعت منها معارضة شكلية حتى تحول دون خروج معارضة حقيقية وحتى تحتوى التيار الشعبي ضد السلطة بتوزيع ولاءاته على الأحزاب وحتى تبدو دولة ديمقراطية ! طالما سمحت بالمعارضة والتعدد الحزبي .

وهكذا في لبنان مثلا التى توجد فيها عدة أنماط حزبية ذات توجهات وولاءات وشعارات متباينة ولكنها ذات مظهر ودور تجزيئى واحد .

إنها حركات وفصائل وأحزاب تقاسمت ولاء الشارع العربي اللبناني الذى اكتشف انه يدفع ثمن ذلك الولاء والصراع الحزبي المسلم يقتل المسلم والعربي يقتل العربي والرابح

هي الأحزاب وقياداتها الباقية على قمة الطوائف وعلى رأسها .

وفي السودان لايختلف الأمر فهناك قرابة الـ 36 حزباً تتصارع على السلطة وهي حزب الأمة الذي انقسم إلى ثلاثة أجنحة يترأسها الصادق المهدي وأحمد المهدي وولي الدين المهدي . وحزب الاتحاد الديمقراطي والحزب الشيوعي وحزب البعث الموالي لسوريا والبعث الموالي للعراق وحزب سانو والحزب القومي السوداني وحزب المؤتمر الأفريقي والحزب الجمهوري والحزب الاشتراكي الناصري والجبهة الاسلامية القومية وحزب التحرير الاسلامي وحزب الاخوان المسلمين .. الخ من الأحزاب والتنظيمات التي تتقاسم ولاء الشارع العربي السوداني في صراعها على السلطة وهي الأحزاب التي عجزت عن اسقاط (النميري) على الرغم مما ارتكبه من جرائم وخيانات وتآمر بل منها من قبل أن يكون شريكاً سياسياً لنظام نميري مثل (الاخوان المسلمين) الذين تقلدوا المناصب والوزارات لقد عجزت تلك الأحزاب مجتمعة عن التغيير الثوري في السودان لأنها

ليست أدوات تغيير بل أدوات تشتيت وتفتيت، والثورة الشعبية التى أسقطت نميرى لم تحققها أو تحرض عليها الأحزاب لكنها استغفلت الجماهير من جديد وقفزت إلى السلطة وأعادت لعبة الصراع الحزبي تحت ستار وادعاء ديمقراطى وفي اطار الاقتراع والصناديق وحتماً ستكتشف الجماهير السودانية ان أى حزب يفوز في مهزلة الانتخابات لا يعبر عن آمالها أو يحقق طموحاتها وان عليها أن تسقطه كما أسقطت النميرى .

وفي مصر رغم اللافتات الحزبية العديدة المتعددة إلا أن الأحزاب مجتمعة لم تستطع أن تقف أمام السادات وتمنعه من الخيانة القومية كما لم تستطع أن تقوّم اعوجاج السلطة القائمة في مصر الآن للأسباب السالف ذكرها . فهناك أحزاب دخلت شريكاً في السلطة وأخرى تسعى لأن تصل ولأسباب المحافظة على طبيعة الأحزاب الطائفية والطبقية التى يحققها النظام القائم ويلغيها النظام الثورى كما حدث من قبل عندما جاءت ثورة 23 من شهر ناصر 1952م وكان الشارع العربي في مصر مملوءاً باللافتات الحزبية

وبالأحزاب ذات الشعارات التقدمية والرجعية اليمينية الموالية للقصر وللانجليز وكانت الشعارات تتزاحم على عقول الناس ووجدانهم وكانت الولاءات تفرق بين العربي المصرى الاخواني والعربي المصرى الماركسى والعربي المصرى الوطنى والعربي المصرى القومى والقبطى .. الخ وهو ما ألغاه عبد الناصر وبالتالى يمكننا القول ان النظام القائم في مصر الآن هو بحق أكثر من يعبر عن مصالح الأحزاب في البقاء وليس التغيير وتنفيذ الشعارات لأنها أحزاب رجعية وأدوات متخلفة وبديلة عن الشعب وضد مصلحة الشعب العربي المصرى الذى احتوت ارادته وتقاسمتها عبر الصناديق .

وهكذا الأحزاب في المغرب فهى موجودة منذ زمن ليس قريباً لكنها متعايشة مع السلطة وواقعة تحت تأثيرها ورقابتها ولا نبالغ إذا قلنا انها والسلطة سواء بمعنى ان هناك تحالفاً بين الأحزاب والملك ضد الشعب يبقى الملك وتبقى الأحزاب وتبقى كل مصالحها قائمة طالما الشعب غائب .

وأخيراً نخلص إلى أن الأحزاب ظاهرة أوربية عصرية دخيلة على الوطن العربي جاءته كأى سلعة معلبة من وراء البحر وان طبيعتها الطائفية والطبقية والجهوية والاقليمية والقبلية والعائلية .. الخ لا تجعلها تحقق الشعارات القومية والوحدوية التي رفعتها وخبأت وراءها مصالحها الطائفية والطبقية بالاضافة إلى ما اعتنقته من ايديولوجيات مستوردة ثبت فشلها وعجزها في حل مشاكل الانسان بالاضافة إلى انها ليست أداة جماهيرية لأنها مؤسسات قائمة على الاحتكار أى مؤسسات بديلة عن الشعب في اطار النيابة والاحتكار التي أفرزتها النظريات الأوربية .

وبالتالى فان الوطن العربي سيشهد المزيد من الهزائم تلو الهزائم والمزيد من السقوط على المستوى الرسمى الحكومى أو الحزبي الطائفى الطبقى فهى سبب الداء والبلاء وستنشأ دول ودويلات طائفية وقبلية مع مرور الوقت أكثر مما هو قائم الآن .

سينشىء الموارنة دولة وسينشىء الشيعيون دولة وسينشىء الدروز دولة وسينشىء الأقباط دولة .. الخ

وليس هناك من مخرج إلا تدمير كافة أشكال السلطة الرسمية القائمة على الحكومات العميلة المأجورة الواقعة في دائرة الولاء للغرب وتدمير الأحزاب والتنظيمات السياسية التي تعمل على توسيع نفوذها واحتواء الشارع العربي بولاءاتها المتعددة، وليس من مخرج لكل هذا إلا أداة جماهيرية تدفع الجماهير العربية لمواجهة أعدائها وخصومها المصلحيين والايديولوجيين والطبقيين والاقليميين أداة تحرض على مواجهة الاقليمية وتدميرها ومواجهة الطائفية والجهوية وتدميرها ومواجهة الطبقات البرجوازية وتدميرها .. أداة تحرض على خوض حرب التحرير الشعبية وانقاذ الوجود العربي المهدد بالفناء والاندثار .. أداة تحرض على بناء الدولة القومية العربية الواحدة فوق الأرض العربية ، وتحرض على مواجهة الامبريالية وتدمير مصالحها وحصونها وقواعدها وشركاتها في الوطن العربي .. وتدمير رموزها وولاتها وجواسيسها الحكام العرب أداة تخرج الجماهير العربية من ولاءاتها الاقليمية والجهوية ومن استلابها الفكرى والثقافي وتدفعها

نحو مواجهة خصومها وانتزاع حقوقها .. الخ . وهى مهام لا تستطيع الأحزاب العربية ان تنجزها لأن طبيعتها تحول دون ذلك أساساً ولأنها لا تتحقق إلا بالجماهير وسيطرة الجماهير على السلطة والثروة والسلاح التى تتناقض تناقضاً كلياً مع طبيعة ومصلحة المؤسسات الحزبية القائمة على الاحتكار .

ان حركة اللجان الثورية هى الحركة المؤهلة للقيام بهذا الدور التاريخى العظيم في الوطن العربي في تحقيق الوحدة وبناء الجماهيرية القومية العربية وفي تحقيق الاشتراكية وتدمير الرأسمالية والبرجوازية وفي تحقيق الديمقراطية وانهاء كافة أشكال الاحتكار السياسى للسلطة والاحتكار الاقتصادى للثروة والاحتكار العسكرى للسلاح .

ان طبيعة حركة اللجان الثورية من حيث انها لا تحمل أى ولاء لقبيلة أو لطائفة أو لجهة بل للشعب بالاضافة إلى تسلحها بالنظرية الجماهيرية التى تحقق المساواة والعدل والحرية بالاضافة إلى أنها لا تسعى إلى السلطة بل تدفع

الجماهير وتحرضها على استلام السلطة وانها ليست مؤسسة أو تنظيماً بديلا يقوم بالحكم نيابة عن الشعب .. كل هذا يجعل من حركة اللجان الثورية حركة جماهيرية ومن النظرية الجماهيرية أساسين لأى تغيير سياسى واقتصادى واجتماعى وعسكرى لبنية المجتمع العربي وفوق خارطة الوطن العربي السياسية والاقتصادية التى ستتم حتماً بانهيار مجتمع البرجوازية والارستقراطية والخيانة ليحل محله حكم الشعب في المؤتمرات الشعبية وسيطرته التامة على كافة مقاليده انها مهمة تاريخية لن يحققها «البعث» لأنها تتعارض وطبيعتة ولن يحققها « القوميون » لأنها تتعارض وطبيعتهم ولن تحققها الأحزاب التى تحمل شعارات تقدمية لأنها أصبحت أدوات رجعية متخلفة بحكم العصر الذى نعيشه تجاوزته حركة الجماهير والثورة الشعبية التى أسقطت النميرى والشاه ولم تسقطه أحزاب أفلست أو تنظيمات خانت ولم يبق أمامها غير ان تنزوى وتنتهى لتترك المجال لأداة العصر ونظرية العصر (اللجان الثورية والنظرية الجماهيرية)

وهكذا يمكننا القول ان كل التنظيمات والأحزاب السياسية القائمة في الوطن العربي ليس بامكانها القيام بدور ثورى يقلب ويغير كافة الترتيبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وذلك لطبيعة تركيبتها الطبقية والطائفية ولمركب السلطة الذى تسعى إليه كغاية وحيدة ولانعدام قواعدها الجماهيرية ولعدم ملكيتها للبديل الثورى الجماهيرى وليس لها من دور قائم الآن إلا المحافظة على التوازن القائم بين السلطة والجماهير والمحافظة على الصلات القائمة لأنها تخدم أغراضها وتحقق مصالحها .

ان كل شيء الآن في الوطن العربي يدعو للثورة ويحرض على التعجيل بها وكل شيء مهيأ للثورة والتغيير .

السلطة القائمة فاسدة وخائنة ومستبدة . .

الاستغلال الاقتصادى ..

الفوارق الطبقية ..

الأحزاب المفلسة ..

التجزئة القومية ..

القهر الاجتماعى ..

الفقر والبؤس والقهر والحرمان ..

الخيانة القومية والتآمر الرسمى العربي ..

الوجود العربي المهدد ..

الوجود الأجنبي العسكرى والاقتصادى ..

إن مهمة تغيير هذا الواقع الفاسد لن تقدر عليها سوى اللجان الثورية أداة العصر والنظرية الجماهيرية نظرية العصر .

وإلى الأمام والكفاح الثورى مستمر

شعبة المهج والتعميمات